

الثقافة الدينية لدى الصابئة المندائيين في المجتمع العراقي

دراسة اجتماعية في سوسيولوجيا الثقافة

م.م. كاظم حبيب حميد

رشا علي جاسم

جامعة القادسية- كلية الآداب

kadhim.habeb@qu.edu.iq

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٤/١٢/١١

تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٤/١٢/٢٢

الخلاصة :

يدور موضوع البحث حول ثقافة الصابئة المندائيين والذين هم جماعة عرقية دينية من أقدم الديانات التي عرفت البشرية ، يعتقدون بعض المستشرقين الأوربيين في القرن التاسع عشر ، بأن أصل الصابئة هو المشرق هم سكة ضفاف دجلة والفرات جنوب العراق ونهر الكارون قرب إيران ، وانتشرت بصناعة القوارب والآلات الحصاد وصياغة المينا (النقش على الفضة) ، أتخذ الصابئة المندائيون الصمت في ممارسة طقوسهم سبيلاً للحفاظ على كيانهم الديني وثقافتهم، فلغتهم لا يفهمها الناس في المناطق التي يقطنونها ، ولا يعرف مؤسس لطائفتهم ، يعتقدون إن ديانتهم أقدم الديانات وكتبهم هي صحف سادة البشر الاولين ، وسبب الغموض في تسميتهم وأصولهم وطقوسهم هو تعرضهم الى الاضطهاد والاقصاء والتهميش من قبل اليهود والمسيحية فاعتبرتهم منحرفين لابد من رجوعهم الى الجادة الصحيحة ، أما المسلمين فقد تعاملوا معهم تبعاً للفترات الزمنية التي عاشوا فيها ، وتمثلت الثقافة الدينية للصابئة في صور ونماذج الاكثر انتشاراً في ثقافتهم والممارسات والطقوس الدينية التي يقيمها الصابئة المندائيون في المجتمع العراقي.

ولقد توصل البحث الحالي الى مجموعة من الاستنتاجات نذكر اهمها:

- ١- ان المندائية خليط من عقائد تتجذر من الفكر السومري والبابلي (مثل الاهتمام بإقامة الطقوس الدينية من صلوات واستعمال الطلاسم ،اهتماماتهم بالأمور الفلكية وغيرها ، وطقوس تعتمد على الغطس في الماء والتعميد مثل التي كانت تمارس لدى طوائف البحر الميت .

٢-من الثوابت الفكرية الخاصة بالمندائية تعظيم للأنوار التي يرون أنها فيض من نور الحي الأزلي لهذا يرتدون الملابس البيضاء ويرفعون رايتهم (الدرفشة) التي تعكس نور الشمس والنجوم والماء مقدسة لأنها ماء الذات النوراني ، والطهارة هي الركن الاساسي في المنداية .

الكلمات المفتاحية : الصابئة ، الثقافة ، المجتمع العراقي ، المنداية

The religious culture of the Mandaean Sabians in Iraqi society - an analytical study in the sociology of culture

kadhim Habeeb Hameed

Rasha Ali Jassim

Al-Qadisiyah University - College of Arts

kadhim.habeb@qu.edu.iq

Date received: 11/12/2024

Acceptance date: 22/12/2024

Abstract:

The Mandaean Sabians are an ethno-religious group of the oldest religions known to mankind, some European orientalists believe in the nineteenth century, that the origin of the Sabians is the East They are the inhabitants of the banks of the Tigris and the Euphrates in southern Iraq and the Karun River near Iran, and spread by making boats and harvesting machines and crafting enamel (engraving on silver), the Sabean Mandaeans took silence in the practice of their rituals as a way to preserve their religious entity and culture, Their language is not understood by people in the areas they inhabit, and does not know the founder of their sect, they believe that their religion is the oldest religions and their books are the newspapers of the first human masters, and the reason for the ambiguity in their name, origins and rituals is their exposure to persecution, exclusion and marginalization by Jews and Christianity, so I considered them deviants who must return to the right avenue, as for the Muslims, they dealt with them according to the time periods in which they lived, The religious culture of the Sabians was represented in the most widespread images, culture, and rituals held by the Mandaean Sabians in Iraqi society.

1- Mandaean is a mixture of beliefs rooted in Sumerian and Babylonian thought (such as interest in establishing religious rituals such as prayers and the use of talismans, their interests in astronomical matters and others, and rituals based on diving in water and baptism, such as those practiced by the Dead Sea sects. 2- One of the intellectual constants of Mandaean is to glorify the lights, which they see as a flood of light from the eternal living, so they wear white clothes and raise their flag (Al-Darfasha) that reflects the light of the sun, the stars and the water is sacred because it is the water of the light self, and purity is the main pillar in Mandaeanism.

Keywords: Clan, politics, political system

المقدمة:

ساهمت المعتقدات الدينية في ان يكون سجل البشرية حافلاً بصنع التاريخ الانساني - ومن هذه المعتقدات ما كان سبباً في تطور الامم وتقدمها وفعاليتها وبناء الحضارة الانسانية ، ومنها كانت متوهمة لم تثمر عن بناء دول ومراكز وجود لهذه الامم سرعان ما اضمحلت واندثرت ألا ان تزايد العقائد التي يتبناها الانسان ، والتي تخوض غمار الخلق وما وراء الطبيعة دفعه في التوصل الى فكرة الخالق التي كانت مشتركة بين جميع الشعوب ، وان اختلفت النظرة الى الخالق من شعب الى اخر .

فهناك من وهب ايمانه الى الطبيعة ومظاهرها كرمز للقوة والقدرة التي يتصف بها الخالق ومنهم من جعل الحيوانات والنباتات مظهرًا للعبادة والتقديس ، واخرون جعلوا الكواكب والنجوم مصدراً لاستلهام عجائب الخلق لما تكتنزه من تنظيم وتناسق عجيبين فكانت محطات للعبادة والتقدير ، وعلى مر العصور كان لابد لكل عقيدة دينية من بشر او داع او فيلسوف او نبي او رسول من الله ، فالثقافة الدينية للصائبة المندائيين الجزء الاكثر غموض في تاريخ الديانات الأخرى ، ونظراً لأهمية الثقافة الدينية والمعتقدات الدينية للصائبة وتطورها وتاريخها وتفاعلها مع البيئات التاريخية التي وجدت بها أمر غاية في الصعوبة والتعقيد ، لقد لعبت عوامل عديدة في إخفاء هذا التعقيد ومنها ما ينشأ عن الأساليب التي اتبعها المؤرخون القدامى في دراسة معتقدات الثقافة الدينية وعلاقاتها العامة ، وما نشأ من تحزبات دينية، او مناطق استوطنوا فيها في جنوب ما بين النهرين ، فقد دون المندائيون معتقداتهم الدينية في صورة كتب ولفائف مخطوطة ، وبين صفائح رصاص ورقائق الجلد التي نقشوا عليها وظلوا ينسخونها جيلاً بعد جيل ، مما زاد الامر سوءاً أن معظم أفراد الطائفة باتوا يجهلون لفهم أبجديتها ، ويكتفون بالطقوس الدينية لأنها غير دقيقة في نقل الاحداث وينظر الباحثون الى مصطلح ديانة ما بين النهرين بأنها المعتقدات والممارسات الدينية التي كان يؤمن بها كل الأقوام التي سكنت العراق وبابل من السومريين والأكديين والاشوريين والبابليين ثم أمن بها المهاجرون الآراميون والكلدان الذين كانوا يعيشون في بلاد ما بين النهرين أرض العراق بعث الأنبياء منهم نبي يونس ونبي إبراهيم والنبي نوح وادريس عرفت الإنسانية في تاريخها الطويل شخصية دينية يعتز بها.

المبحث الاول - عناصر البحث الاساسية

أولاً - مشكله البحث

ان دراسة تاريخ وثقافة الصابئة المندائيين هو جزء من دراسة تاريخ العراق العريق ، فقد ركز موضوع البحث الحالي على الثقافة الدينية للصابئة المندائيين في المجتمع ، وأن دراسة ثقافتهم الدينية هي جزء من دراسة ثقافة المجتمع العراقي، خاصة أنهم متواجدين في جنوب العراق الذي أمتد لآلاف السنين، تلك الطائفة على قلة أعدادها والظروف الصعبة التي حلت بها على طول العقود الاخيرة والتي مضت، لم يمنعها من أن يكون لها وزن ثقافي في المجتمع العراقي، حيث برز العديد منهم في الميادين العلمية والثقافية والفنية المختلفة ، ومن المؤسف أن المسألة المندائية لم تحظى باهتمام مراكز البحث العربية والاسلامية رغم أهميتها في فهم تطور الفكر في المنطقة العربية قبل وبعد ظهور الاسلام، وما صدر من دراسات تكون معالجات عامة أو إجابات جدية تتعلق بأصولهم ومعتقداتهم وثقافتهم الدينية وحياتهم وممارستهم للطقوس والشعائر الخاصة بهم ، لهذا جاء بحثنا الحالي ليسلط الضوء على موضوع الثقافة الدينية لدى الصابئة المندائيين في المجتمع العراقي ، والتي ظهرت في مشكلة البحث الحالي في التساؤلات الآتية:

- ماهي الثقافة الدينية للصابئة المندائية واثارها الاجتماعية على أفراد المجتمع ؟

- ما دور الثقافة الدينية المتوقعة في ممارسة النشاطات والطقوس والشعائر الدينية في ظل ثقافة المجتمع العراقي.

ثانياً - أهمية البحث

تبرز أهمية البحث في ثقافة الديانة الصابئية ، لأنها عنصر مهم من تتاثر الثقافة وما يحمله نظامهم الديني من قوانين ووسائل ضبط أفعاله بغض النظر عن ما إذا كان الدين سماوياً أو وضعياً فهو نظام اجتماعي متكامل يحتاج له كل من الفرد والجماعة وله تأثيرات واضحة على شخصية الانسان، وتعد الثقافة الدينية ظاهرة اجتماعية جماعية يشترك فيها عدد أكبر من الافراد ولها عوامل منها سياسية واقتصادية او سبب التنشئة الاجتماعية، حيث اكتسبت الثقافة اهميتها من جوانب عديدة منها التراث الشعبي الذي تكون عبر ازمة متعاقبة مر بها المجتمع العراقي ، وهذا يعطيها قيمة علمية مهمة الى جانب ثقافة العراق .

ثالثاً: أهداف البحث

تمثل البحث الحالي بـ :

أ- التعرف على الثقافة الدينية لدى الطائفة المندائيين في المجتمع العراقي.

ب- طبيعة الثقافة الدينية لدى الصابئة.

ج- دور الثقافة الدينية في ممارسة الطقوس والشعائر .

د-الوقوف على اهم الابعاد الاجتماعية لثقافة الدين الصابئي لكي نتمكن من تشخيصها ومحاولة ايجاد الحلول المناسبة والتي تعد احدى الاقليات الدينية المتأصلة في المجتمع العراقي.

رابعاً: تحديد مفاهيم البحث:

يختص هذا المبحث بتحديد المصطلحات الواردة في البحث وهي :

١-الثقافة : في اللغة العربية هي من ثق الشيء ثقفاً وثقافة أي حذقه أي بمعنى حاذق فهم أو سريع التعلم ويقال رجل ثقف أي ذو فطنة وذكاء ثابت المعرفة بما يحتاج اليه ^(١).

أما الثقافة اصطلاحاً فالتعريف الأكثر ذيوغاً وأقدمها هو تعريف العالم الانثروبولوجي أدورد تايلور في كتابه (الثقافة البدائية) بأنها الكل المركب الذي ينطوي على المعرفة والعقائد والفن والاخلاق والقانون والعادات وكل القدرات الاخرى التي يكتسبها الانسان بوصفه عضواً في المجتمع، وعرفها مالبينوفسكي بأنها ميراث اجتماعي يشمل العناصر المادية والموروثة والسلع والعمليات التقنية والافكار والعادات الفردية والقيم ^(٢). ويمثل مفهوم الثقافة نمط الحياة التفكير به خصائص مادية ومعنوية تتسم بها الجماعة وتشمل في مجموع عاداتها وتقاليدها التي يتوارثها اعضاءها جيل بعد جيل^(٣).

٢-الدين : يعرف بأنه نسق موحد من المعتقدات والممارسات ذات الصلة بأشياء مقدسة بمعنى أنها أشياء متفردة ذات حرية معتقدات وممارسات تؤخذ في مجتمع أخلاقي واحد يسمى دار العبادة أفرادهم هم أتباع هذا الدار^(٤)، ويعرف الدين تعريف آخر بأنه نظام يتكون من مجموعة عقائد وممارسات وطقوس لها قدسيته وحرمتها، والأفراد المؤمنون غالباً ما يكونون جماعة موحدة والدين ظاهرة إنسانية كونية لم يخلو منها أي مجتمع من المجتمعات ، او هو نظام متوازن يتكون من مجموعة من المعتقدات والقيم السلوكية التي تتوحد بين المؤمنون لهذه المعتقدات في مجتمع ديني واجتماعي ^(٥).

٣-الثقافة الدينية : هي التغيرات والتطورات التي يحصل عليها الافراد وعقيدتهم وفكرتهم المتكونة من الاخلاق وتتخذ العادات والآداب والعلاقات الفردية والاجتماعية والسلوك في ظلها طابعاً شرعياً ودينياً، وتظهر عن طريقها الدين عنصرنا على وسائد في حياة الشخص تختلف أبعادها.

٤- الصابئة المندائية :اختلف الكثير من المؤرخين واللغويين في تغيير كلمة " الصابئة " فقد جاءت على لسان العرب لأبن منظور بأن معنى الصابئة لغة هو صبا يصبأ ، أي بمعنى خرج من دين الى آخر وهذا يعني في المعنى اللغوي هو خروجهم من دين كانوا يعتنقونه الى دين جديد ، أما أبن الجوزي ذكر معنى الصابئة في اللغة هي (صبا الرجل اذا مال وزاغ) ، وجمع الصابئي : صابئون، وصباء ، وصابئة تأتي على وزن فعل مثل (صنع) واذا كانت الكلمة مشتقة من صب الماء للاغتسال ، وهي كلمة عربية فذلك يعني أنهم المغتسل^(٦).

لعل أقرب التغيرات التي يمكن أن تنطبق على الصابئة لغة ما ورد في اللغة الآرامية من معنى لان كلمة الصابئة ليست مفردة ظهرت في قواميس اللغة العربية والعبرية في بادئ الامر، و أنها كلمة قديمة ظهرت في قاموس اللغة الآرامية على اعتبار أن اللغة المندائية : هي فرع من فروع اللغة الآرامية و مشتقة من (الصابئة) هي الاغتسال والتعميد وهذا حال المندائيون حتى اليوم من التعميد وهي إحدى اركان ديانتهم .

أما كلمة مندائي أو " المندائية " فقد وردت في اللغة السومرية من أصل كلمة (مندا) والتي تعني مسكن أو أرض العبادة ، لذلك نرى اليوم أن معبد المندائيون يطلق عليه كلمة (مندي) ثم تطورت الكلمة ومعناه القوم شديدي الإيمان أما باللغة الآرامية بمعنى المعرفة الأقرب الى الصحة على اعتبار أن عقيدة المندائيين هي الدعوة الى معرفة الله قبل أي شيء آخر^(٧) .

المبحث الثاني

أولاً- الثقافة الدينية للصابئة المندائية

يتكون المجتمع العراقي من جماعات وأقليات تتباين في لغاتها وانتماءاتها الطائفية، وأن ما يميز المجتمع أن لكل جماعة سواء كانت دينية أو عرقية أو أثنية مكان مميز في مغارة وادي الرافدين ، من خلال ما يتجلى من لغة أو تاريخ أو ديانة أو أعراف و تقاليد وطقوس تأخذ مساحتها من البعد الإنساني والحضاري والاجتماعي في المجتمع، والصابئة المندائيون عاشوا قرب الانهار الجارية والمقدسة.

فقد لعب الصابئة رغم كونهم طائفة دينية صغيرة، دوراً ملحوظاً في تطور الحياة الروحية والفكرية في بلاد ما بين النهرين خلال ظهور المسيحية وانتشارها، أو بعد الإسلاميات سيما بعد ازدهار الحضارة العربية - الاسلامية أيام العباسيين ، ولمعت من بينهم شخصيات علمية أسهمت بقسط وافر في إعلاء شأن الحضارة العربية - الاسلامية ، لكنهم بعد تدهور الحضارة ، والغزو المغولي والفتح العثماني وتعرضهم الى الاضطهاد في العهود المختلفة ، انكمشوا على أنفسهم في القرى المنتشرة عند البطائح الممتدة من جنوب نهر الفرات حتى نهر كارون في جنوب غرب ايران^(٨)، وكانت هذه المنطقة لظروفها الجغرافية الخاصة بمنأى -الى حد ما - عن سطوة الحكام وبطشهم ، و لكونهم جماعة مسالمة ، لا شأن لها بزراعة الارض ومشاكلها ، ويحترف أفرادها حرفاً ضرورية للفلاحين والصيادين ولا يطمعون بأكثر من اعطائهم الفرصة لممارسة طقوسهم الدينية الخاصة دون تدخل ، ضمنوا البقاء والاستمرار طوال القرون الماضية ، ورغم غرابة هذه الطقوس ما كانوا ليثيروا الوسط الاجتماعي الذي يحيط بهم (المذهب الشيعي) في الاساس، وإن ظل هذا الوسط الاجتماعي يعاملهم باستعلاء وناس أقل منهم في المرتبة الاجتماعية ، وهو امر يخالف ما كان يسير عليه أئمتهم من قبل ، ورغم ذلك الا ان الصابئة لم يسلم من الاضطهاد لمنعهم على التخلي عن معتقداتهم وعلى ارتكاب ما يخالف محرماته الدينية ، ومنذ منتصف القرن السادس عشر اصبحوا هدفاً لضغط المبشرين المسيحيين الغربيين من مذاهب مختلفة .

غير أن هذه الطائفة على قلة عددها، ورغم القهر العنصري حاصرها طوال القرون عادت في العقود الاخيرة لتكشف من جديد عن حيوية نشاطاتهم الاجتماعية والثقافية ، ودخلت الحياة الاجتماعية في العراق الحديث بفاعلية تفوق وزنها السكاني الاقتصادي^(٩).

ويرى علماء الاجتماع إن نوع الثقافة هو الذي يشكل البناء الفني في حياة المجتمعات، وهناك من يرى عدم وجود أي نوع من الغرائز والدوافع التي تدفع الناس الى ممارسة الناس ممارسة سلوك معين أو القيام بنشاط ما وليس هناك في نظرهم أية استعدادات وراثية في طبقة الفرد سواء في قدرته العقلية أو اتجاهاته الانفعالية الوجدانية او نزعة سلوكية وإنما كل ما يتوفر عليه الفرد الاجتماعي إنما هو مكتسب في مدى تفاعله ونشاطه الانساني مع خبرات ثقافته التي انتقلت عبر الاجيال التي يعيش فيها، فالنظريات النفسية ترجع سلوك الانسان الى عوامل منها:

١- تأثير القوى الفطرية في تشكيل قوى الانسان.

٢- فرويد ومبدأ اللذة والالم.

٣- مبدأ النزعة والسيطرة في المجال الفني.

٤- يفسر سلوك الانسان على أساس المناخ أو الدم والجنس أو اللون أو اللغة.

هذه النظريات النفسية اهتمت الجانب الثقافي في تفسير مكونات الطبقة البشرية باعتبار الثقافة وحدة قائمة منفصلة عن الطبقة البشرية، والثقافة هي نتاج نشاط الفرد فالثقافة من المفاهيم الرئيسية في علم الاجتماع، أما من الناحية الدينية أفرزت المراحل التاريخية نماذج وصور من الثقافة الدينية وتأثيرها على الفرد الصابئي^(١٠)، و تعد الديانة المندائية من الديانات التوحيدية عن طريق خلق آدم الملاك (هيبيل زيو) الذي عمده وعلمه طريقه التعميد وأصولها ونقل آلية التعاليم الربانية وعلمه الصلاة والتسبيح للحي العظيم، ترتبط هذه الديانة بالرمز الديني المعروف باسم "الدفش" المركوز على الشاطئ وهو عبارة عن صليب يوضع عليه قطعه بيضاء تشير الى (الرسنه) وهي الملابس البيضاء الدينية البيضاء وقد ركز على شاطئ نهر لان الماء ممزوج بالطقوس المندائية حيث لا زواج ولا صلاة ولا تعميد بعيداً عن الحياة المتحركة (اليرونا)، والمندائية كديانة تؤكد على:

أ- وحدانية الخالق ووجود الملائكة تسبح للخالق العظيم وهي موكلة بإيصال المعلومات من الخالق العظيم الى النبي يحيى من عالم النور و أشهر هؤلاء الملائكة (هيبيل زيو) و (حميتل) و (أنثى) وهو الملاك ألم بالنبي " يحيى " الذي يتولى حمايته ونقل التعاليم من الخالق العظيم اليه .

ب- المعمودية (الما حباتا) كطريق الى التوبة والدخول في الديانة التوحيدية المندائية وأن الماء الجاري وسيلة لتنظيف الانسان من الآثام.

ج- الارتقاء (المستقا) للأموات وهو مرسوم ديني يقرأ فيه سور و أدعية تقدم فيه الصدقات لتساعد المتوفي للارتقاء الى عالم النور .

د- تؤمن بالثواب والعقاب في الحياة الأخرى في عالم النور والظلام فقد ورد في الحديث (حديث النبي يحيى فأتجه الى الشمال الى حيث عوالم النور وهو يرتدي الرثة (وهي ملابس دينية بيضاء اللون) وتؤمن بأن الحي العظيم أختار النبي يحيى ليسيير على الشريعة المندائية .

هـ- الشعائر الدينية التعميد والصدقات والصلاة والصيام أما الصلاة فهي عبارة عن قراءة الادعية مع الاغناء كلما وردت كلمة السجود "قوموا أيها المؤمنون وأسجدوا لله وسبحوا الله العظيم " وهناك صلوات جماعية تقام في المعبد (المندى) والقبلة في الصلاة هي جهة الشمال للاعتقاد بأنها الجهة المباركة. اما الصيام فهو لدى المندائيين ستة وثلاثون يوماً على مدار السنة^(١١). ويتم الامتناع عن أكل اللحم فقط ويحرم في أيامه ذبح الحيوانات (الما صباتا) التعميد وهي كلمة آرامية - مندائية تعني الأرتماس بالماء أو الغسيل وهي مشتقة من الفعل (أصبا) بمعنى صبع، تعمد، غطى بالماء و أسم الفاعل منها (ما صباتا) و تعني الصابغ، المعمد ولهذا السبب سمي النبي يحيى ب (يوحنا المعمدان) وفيها اشتقت كلمة صابي (صابئي) وهي على ثلاث أنواع:

١- **الما صباتا العامة** وتجري من قبل كاهن في الماء جاري ويفضل ماء النهر حيث يلبس الكاهن والشخص المراد تعميده الملابس الدينية البيضاء (الرسته) ويدخلان في النهر بحيث يصل الماء الى الركبتين ويجب ان يكون التعميد في يوم الاحد باعتباره يوماً مقدساً لدى الصابئة وهو أول أيام الاسبوع لديهم ويسمى ب (الهاب شابا) بدون التعميد لا يمكن للمرء أن يكون صابئاً حيث يجب على الذكور والاناث أن يعمدوا قبل الزواج^(١٢).

٢- **طريقة التعميد** : يطلب الكاهن اسم الشخص المراد تعميده وأسم امه الديني ويبدأ الكاهن بقراءة نصوص التعميد من النص الاول الى النص الحادي عشر ومع بداية الكاهن بقراءة النص الثاني عشر يبدأ بالدخول الى الماء الجاري (اليردنا) ويدخل الشخص خلفه بعد أخذ الاذن من الكاهن ويجب أن يقف الشخص على الجانب الايسر ثم ينتقل الى الجانب الايمن ثم الخلف يقرأ خلالها الكاهن مجموعه من النصوص الأدبية والأدعية وبعد انتهاء القراءة يقوم الكاهن برش الماء ثلاثاً على الشخص وتغطيه بالماء ثم يعطيه ثلاث جهات من ماء النهر بكفه الايمن ليشربها الشخص ثم يضع الكاهن إكليلاً مضافاً من الرأس على رأس الشخص في الجانب الأيمن تحت العمامة ، ثم يضع الكاهن يده اليمنى على رأس الشخص ويأخذ منه العهد (الكشطي).

أولاً- وذلك بمصافحته باليد اليمنى ثم يخرج الكاهن وخلفه الشخص الى الشاطئ فيجلس الشخص على كرسي صغير من الخشب أو الحجر ، ويقرأ الكاهن أدعية وصلوات يضع بعدها زيت السمس المقدس على جبهة الشخص من اليمين الى اليسار ، ويأخذ منه العهد مرة ثانية ويقرأ الكاهن أدعية وصلوات يقدم بعدها الجزء المقدس (البهشا) للشخص ليأكله وجرعة من الماء المقدس (حميوها) ليشربها ثم يأخذ منه العهد مرة ثالثة ويصافحه بيده اليمنى ويقول الشخص (الحق ينضيك ويقومك) ويرد عليه الكاهن (ابحث تجد وتكلم وأستمع) بعدها يقبل كل من الكاهن والشخص يده اليمنى ويضعها على جبهته ثم يقرأ الكاهن نصوصاً دينية وأدعية تمجد الخالق وبعد الانتهاء من القراءة يعطي الكاهن العهد للشخص الذي يبدأ بخلع الرسته ويلبس ملابسه الاعتيادية ثانياً- طماشاً: وهو مجرد اغتسال من النجاسات كالجنابة مثلاً. ثالثاً- رشاماً: وهو الوضوء ويمارس ثلاث مرات يومياً^(١٣).

ثانياً - الكتب المقدسة لدى المندائيين

- ١- الكنز العظيم - الكتاب الديني المقدس لدى المندائيين وفيه شرح جانب من حياة النبي يحيى ووفاته ووصاية .
- ٢- دراشا اديها كتاب النبي يحيى وفيه خطب وأحاديث النبي ويعد من الكتب الفقهية ويتكون من جزأين مترابطين يحتوي الأول على خمسة وستين سورة وتتضمن معلومات تخص الكون والملائكة والانبياء ويحتوي الثاني خمسة عشر حديثاً من أحاديث النبي يحيى وتضمن أحاديث النبي يحيى وتعليماته وتوصياته وإرشاداته.
- ٣- الإنباني كتاب الأدعية والصلوات والتراتيل الدينية، وقد كتب بالغة أدبية فيه اشارات لكثير من المعتقدات المندائية.
- ٤- القلستا: كتاب ترانيم الزواج المندائي وتلقى بأسلوب السرد الشعري بليلة الزفاف^(١٤).

أولاً- الطقوس والمعتقدات الدينية :

١- **التوحيد** : يعد التوحيد عند المندائيين أحد أركان ديانتهم الرئيسية التي تؤمن بأله واحد معبود ومبعوث بذاته ، وذلك يطلق عليه المندائيين اسم (هبي - الحي) أي الحياة ، اشارات الكاتبة المندائية ناجية المراني بخصوص التوحيد الى أن المندائيين يعتقدون بخلق عظيم هو الحي الازلي الذي انبعث من ذاته ، و الصابئة يبنون عبادة الشمس والقمر والنار وغيرها و يعتقدون بانها زائلة. ، وأن دراسة دين (الصابئة المندائية) بأن الدين المندائي خليط من التوحيد والوثنية القديمة من جهة و تعظيم للكواكب من جهة اخرى^(١٥).

٢- **الصلاة (البراخا)** تعد الصلاة ركن أساسي من الدين وقد فرضها (مندا دهبي) أي اعرف الحياة على كل مندائي ومندائية وجعلها خمسة اوقات يومياً بأمر من الخالق كما ورد في كتاب (الكنزانيا) ، وقد تم أنقاص الصلاة في عهد النبي يحيى من خمس الى ثلاث اوقات بأمر من (الحي العظيم) وعلى الفرد المندائي ان يرسم بالماء (الوضوء الرشامة) قبل اجراء أي طقس ومنها الصلاة .

٣- **الصوم (صوما)** ان الصيام بالنسبة للمندائي هو صيانة النفس عن الملذات والشهوات المحرمة وكف الاذى والتخلي بالأخلاق وأن الصوم المعنوي يسمى بالصوم الكبير عنده واجباً على كل مندائي (ذكر وأنثى) أما الصوم الصغير يقتصر عن الامتناع عن ذبح الحيوانات واكل لحومها ومنتوجاتها ومدته (٣٦ يوماً) وهي عادة تسبق الاعياد الدينية وأيام الصيام هي المبطلات وسميت بذلك لان النحر فيها يبطل حسب العقيدة الدينية المندائية^(١٦).

٤- **التعميد** : هو أحد الطقوس الرئيسية في شعائر المندائيين والذي يكون الاغتسال في الماء هو اغتسال يمنح الجسم الصحة ويقي الانسان من قوى الموت ، وأيضاً التطهير لأنه يطرد الخطيئة والنجاسة عن الروح ، والأدوات التي تستعمل في التعميد الكامل (المصبتا) وهي عبارة عن بضعه أغصان طرية من الأس وفيه عطر طيب وهو يدل على الخير والسلام والمحبة والحياة ويستعمل اكليل الأس من قبل رجل دين والمندائي العادي وكل متعمد يسمى (ملواشة)^(١٧)، ويرتدون ملابسهم الدينية الكاملة (الرسته) أذ يغطي المتعمد (المصطبغ) في الماء ثلاث مرات وهو يقرأ نص الصباغة اللغة المندائية ، ويتعمد المندائيون في عدة حالات (أول طفولتهم بعد شهر من الولادة ، ورجال الدين في كل مناسبة دينية ، والكبار قبل الزواج وبعد الزواج بأسبوع والمرأة تتعمد بعد شهر من ولادتها يكون التعميد يوم الأحد وهو أول أيام الاسبوع بحساب المندائيين^(١٨)).

ثانياً -الطقوس والشعائر الدينية لدى الصابئة :

ان الطقوس هي طرق مرسومة لأداء تصرفات دينية ،مثل الصلوات والترانيم المقدسة وحركات الجسم وتقديم الأضحيات او اعداد التقدّمات. ومن جهة اخرى ، فان الاحتفال يتضمن عدداً من الطقوس المتصلة بعضها ببعض، والمتراطة والمهداة في وقت معين ومحدد ، وفي ضوء الوظائف التي تؤديها الشعائر والاحتفالات ، فهناك شعائر او طقوس تتمركز حول ازمات الحياة المتعلقة، وهي احتفالات تسم مناسبات معينة مثل الميلاد، الزواج، الموت، التسمية، و غالبا ما تعتبر طقوس انتقال من حالة الى اخرى.

ومثال ذلك ما نراه في اعياد الطائفة مثل طقوس "البنجه" او "الكرصة". وقد تكون هناك طقوس تخدم الغرضين، مثل اقامة الوجبات الطقسية على روح الميت في عيد "البروانايا- البنجة" او "القماشة"، ويؤكد الدين المندائي بشدة على ضرورة الزواج واهميته، بل ويعتبر الاعزب الذي يرفض الزواج مقترفاً لذنوب كبير دينياً، ويعتبر الانجاب جزءاً متمماً للدين، فالأولاد هم الذين يحملون الجنازة، ويقومون بأجراء الطقوس الدينية الواجبة للإبقاء بعد الوفاة مما يساعد الميت على بلوغ عالم الانوار في اخرته (١٩)، والرهبة في الدين المندائي محرمة غاية التحريم، لأنها ضد الحياة، والحياة في العقيدة المندائية هي محور الدين وجوهر العقيدة، بل ان رجل الدين اذا كُرس في اولى درجات الكهنوت ثم تزوج ولم ينجب فإنه يخرج من السلك الكهنوتي، اذ يجب على الشيخ ان يكون متزوجاً ومنجباً. اما بالنسبة للمندائي العادي، فلا يصح للأعزب ولا للمتزوج العقيم ان يتأسس حمل الجنازة او ان يكون وكيلاً للعروس في مراسم العرس، والخلاصة هي ان الزوجة في الدين تكمل الزوج بحسب العقيدة المندائية في الدنيا، وفي الآخرة تعود لزوجها وتسكن معه بعد ان تنهي النفوس مرحلة التطهر في "المطراثا" المطهر، ويجوز للصائبي الزواج بالمرأة الصابئية اذا لم تكن من المحرمات عليه، والمحرمات هن نفس المحرمات في الدين الاسلامي بالضبط، ويضاف الى ذلك عدم جواز الزواج من خارج الطائفة المندائية، بل ان ذلك سيؤدي الى طرد الفرد من الطائفة وعدم السماح له بالعودة حتى اذا انفصل عن الزوج او الزوجة غير المندائية، وان حالات رجوع الأزواج بعد انفصالهم عن نساء غير مندائيات بات اليوم مقبولا ولو بصعوبة وفي حالات قليلة، ويشترط على العائد الى الدين المندائي ان يخضع لتعميد من نوع عال، اما النساء المندائيات فلا يسمح لهن بذلك والمندائيون يؤمنون بالله وبوحدانيته، ويطلقون عليه في كتبهم المقدسة اسم (الحي العظيم) و(الحي الازلي)، ويعتقدون ان آدم (ع) هو اول انبيائهم، وهو المعلم الاول الذي نزلت عليه تعاليم الدين الحق - الدين المندائي - ثم ارسل بعده عدد من الرسل لتعليم البشرية تعاليم الدين؛ وهم شيت ويسمى بالمندائية "شيتل"، ثم سام بن نوح، واخر انبيائهم هو يحيى بن زكريا وهو الرسول والمعلم الكبير الذي جدد الدين المندائي (٢٠).

والصابئة المندائيين اقدم الجماعات التي عاشت في بلاد الرافدين فهم قوم ساميون وقد اختلف الباحثين والدارسين في زمن ظهور العقيدة المندائية كما اختلفوا في الموطن الاصلي للمندائيين وبلادهم وموطنهم الاصلي والدليل هو بعض المخطوطات السومرية التي ما زالت في هذه العقيدة وطريقة كتابة الادب وثقافة المندائية التي تتشابه مع صيغة كتابة الادب البابلي وخاصة لغة التلمود واللغة ومفرداتها التي ما زالت شائعة في الجنوب العراقي (٢١).

لذا فإن طبيعة الفرد العراقي فرضت نفسها للتعايش مع المكونات الاخرى بمختلف انتمائهم ومعتقداتهم الدينية ويعود هذا الاندماج الى اختلاف البيئة والتكوينية المجتمعية ونظرة الانسان للآخر المختلف عنه بشكل عام، فهو لا يعد الاختلاف الديني او الطائفي وحتى العرقي مشكلة للتعامل مع الآخر بل يضع الانسان في المقدمة ومن ثم الاعتبارات الاخرى وان اصحاب هذه الديانة بحاجة الى دعم واهتمام اكثر من قبل الحكومة العراقية لطالما استقروا في المجتمع العراقي فلأبد من ضمان معيشتهم وانشاء معابد اخرى لممارسة شعائهم الدينية فضلا عن توفير فرص من قبل الحكومة العراقية لهم لممارسة مهنتهم الاصلية صياغة الذهب والفضة

بشكل واسع وهذا لن يعود بالفائدة على اصحاب هذه الديانة فقط وانما تنشيط اقتصاد البلد وتقويته والافادة من خبرة التجار والخبراء الاقتصاديين من الصابئة المندائية التي سيكون فيها فائدة اقتصادية كبيرة^(٢٢).

المبحث الرابع - الاستنتاجات والتوصيات

اولاً- الاستنتاجات

توصلت الدراسة الحالية الى مجموعة من الاستنتاجات اهمها:

- ١- ان المندائية خليط من عقائد تتجذر من الفكر السومري والبابلي (مثل الاهتمام بإقامة الطقوس الدينية من صلوات واستعمال الطلاس ،اهتماماتهم بالأمور الفلكية وغيرها ، وطقوس تعتمد على الغطس في الماء والتعميد مثل التي كانت تمارس لدى طوائف البحر الميت ، لذا هي جماعة منغلقة .
- ٢- من الثوابت الفكرية الخاصة بالمندائية تعظيم للأشوار التي يرون أنها فيض من نور الحي الأزلي لهذا يرتدون الملابس البيضاء ويرفعون رأيتهم (الدرفشة) التي تعكس نور الشمس والنجوم والماء مقدسة لأنها ماء الذات النوراني ، والطهارة هي الركن الاساسي في المندائية .
- ٣-يعتمدون على المياه في طقوسهم الدينية لذلك كان قربهم وأقامتهم قرب الأنهار والمياه الجارية ، لكن حالياً استطاعوا التأقلم مع البيئات التي اضطروا الى الانتقال للعيش فيها بعدما هاجروا مناطقهم بسبب الحروب ، فضلاً عن أنهم بدأوا يبنون القبور والاضرحة تيمناً بالديانات الأخرى بعدما كانوا لا يقيمون اي شكل من أشكال القبور .
- ٤-الاستقرار في الجانب الطقوسي من الديانة المندائية ، اذا ان الطقوس التي تمارسها الطائفة اليوم تكاد تكون هي نفسها الطقوس التي مورست منذ مئات السنين، وقد لاحظنا بعض التغيرات الطفيفة التي حصلت في الطقوس لتتلاءم مع التغيرات التي حدثت في حياة ابناء الطائفة ، ولاسيما خصوصاً بعد هجرتهم الكبيرة من مواطنهم الاصلية في مدن وقصبات جنوب العراق المطلة على الانهار والمسطحات المائية الى المدن الكبرى في العراق(بغداد والبصرة وذي قار وميسان) .

ثانياً - التوصيات

وضع الباحث بشأن الاستنتاجات عدد من التوصيات التي من شأنها معالجة الآثار الاجتماعية للثقافة الدينية للصابئة ومنها :

- ١- طبيعة الفرد العراقي فرضت نفسها للتعايش مع المكونات الاخرى بمختلف انتمائهم ومعتقداتهم الدينية ويعود هذا الاندماج الى اختلاف البيئة والتكوين المجتمعي ونظرة الانسان للآخر المختلف عنه بشكل عام.
- ٢- نوصي دعم واهتمام وتشجيع اكثر من قبل الحكومة العراقية للطائفة المندائية لطالما استقروا في المجتمع العراقي فلأبد من ضمان معيشتهم وانشاء معابد اخرى لممارسة شعائرهم الدينية وطقوسهم ومعتقداتهم.

٣- توفير فرص من قبل الحكومة العراقية لهم لممارسة مهنتهم الاصلية صياغة الذهب والفضة بشكل اوسع وهذا لن يعود بالفائدة على اصحاب هذه الديانة فقط وانما تنشيط اقتصاد البلد وتقويته والافادة من خبرة التجار والخبراء الاقتصاديين من الصابئة المندائية.

٤- انشاء مراكز ابحاث ودراسات خاصة حول الديانة الصابئية سواء في الجامعات او المكتبات الالكترونية الشاملة او العامة للاستفادة منها في البحوث الاجتماعية .

الهوامش :

* **الماء** يعد مقدساً لدى المندائيين كونه صفة من صفات الخالق، فالماء الجاري هو انبثاق من المياه الجارية في السماء المقدسة أثناء عملية تكوين العالم الارضي، وهو عنصر أساسي في أي شيء حي، لذلك سمي ماء الحياة.

* **المندائية** هي لون من الغنوصية التي من أركانها القول بأن الانسان يتألف من ثلاثة مكونات بعضها البعض (النفس وهي شرارة مقدسة هبطت من العالم العلوي ، واستقرت في جسد الانسان الذي هو الركن الثاني المادي من الانسان ، والركن الثالث هي الروح وهي مجموعة رغبات والجزئين الاخيرين (الجسد والروح) هما من العالم الديني والجواهر المقدسة (النفس) سجينه الجزئين الآخرين وستظل سجينه الجسد الانساني ما لم يبادر الله الى إرسال من يعين هذه النفس على الخلاص من عبوديتها والصعود الى السماء وهنا نشأت فكرة المندائية .

***الصابئة المندائية** جماعة متمسكة بلغتها وعقيدتها الدينية ومنسجمة مع الجماعات الاخرى، لتكون عنصر بارز وفعال في الثقافة الدينية العراقية مستمدة شرعيتها من الماضي .

الكنزاربا - الكتاب المقدس

وللصابئة المندائيين عدد من الكتب المقدسة ، يقف في مقدمتها كتاب الـ "كنزاربا" (الكنز العظيم) ، وهو صحف ادم التي انزلت من الحي العظيم على ادم ، وفيها تعاليم الدين الحق ، ويقع الكتاب المقدس "كنزاربا" في جزئين :-

الجزء الاول : "كنزاربا" اليمين ، ويحوي هذا الجزء على قسم مهم من الادب الديني المندائي وتعاليمه ، كما ويحوي على قصص وميثولوجيا دينية تصور صراع قوى الخير وقوى الشر، قوى النور وقوى الظلام ، ويقص

علينا عملية الخلق ،خلق الكون والسموات والانسان الاول ادم ونزول النفس من مستقرها السماوي عند الحي العظيم الى جسد ادم الطيني .كما يحتوي هذا الجزء على الكثير من التعاليم والصلوات والادعية الدينية .
الجزء الثاني : "كنزأربا" يسار ، وهو الجزء الخاص برحلة عودة النفس الى بارئها بعد الوفاة، وعمليتي العقاب والتطهير التي جرت لها في هذه الرحلة.

- ١-أبن منظور: لسان العرب دار لسان العرب مجلد، بيروت ١٩٨٨.
- ٢- إحسان محمد الحسن - موسوعة علم الاجتماع، ط ١، الدار العربية للمطبوعات بيروت، ١٩٩٩، ص ٣٠.
- ٣- عبد الوهاب الكيالي وآخرون، الموسوعة السياسية، ج ١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٤، ٢٠٠١، ص ٨٤٤.
- ٤- جون سكوت، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، ترجمة محمد عثمان، الدار العربية للأبحاث والنشر، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٧٩-٨١.
- ٥- دينيس كوش، الثقافة في العلوم الاجتماعية، المنظمة ترجمة منير السعيداني، مفهوم العربية للترجمة ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص ١٠٥.
- ٦- جواد الخوئي ، لمحات تاريخية عن الاقليات الدينية في العراق على الرابط الالكتروني التالي : وزيع ، دمشق ، ٢٠٠٩ ، ص ٢٣ - ٢٥ .<http://www.khoie.net>
- ٧- محمد نمر المدني، الصابئة المندائيون العقيدة والتاريخ ، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والت
٨-دينيس كوش، ترجمة منير السعيداني، مفهوم الثقافة الاجتماعية المنظمة العربية للترجمة ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص ١٠٥ .
- ٩-عزيز سباهي، أصول الصابئة (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية، ط ١، منشورات دار المدى ، ٢٠٠٢.
- ١٠-محمد حسن غامري، مقدمة في الانثروبولوجيا العامة، الاسكندرية، المركز العربي للنشر والتوزيع، ١٩٨٥، ص ١٠٦.
- ١١- أنيس زهرون - عظمة النبي يحيى بن زكريا، بغداد، ٢٠٠٢، ص ٢٦.
- ١٢- صبيح مدلول السهيري، يحيى بن زكريا نبي الصابئة، بغداد، ١٩٩٨، ص ٩٩.
- ١٣- ناجيه المراني - مفاهيم صابئية مندائية، بغداد ، ١٩٨١، ص ١٤٥ .

- ١٤- سليم برنجي الصابئة المندائيون في تاريخ ومعتقدات قوم المسنين، ترجمة جابر أحمد، بيروت، ١٩٩٧، ص ٤٢.
- ١٥- ياسين الناشئ، الميثولوجيا المندائية - ملحق جريدة الصباح العدد ٨٤٤، ٢٠٠٦، ص ١٠.
- ١٦- انيس زهرون - عظمة النبي مصدر سابق، ص ٣٧ - ٤١.
- ناجية المراني ، مفاهيم صابئية مندائية (تاريخ ، دين ، لغة) ، مطبعة التايمي، بغداد ، ١٩٨١ ، ط ٢ ، ص ٩٠ - ٩١ .
- ١٧- عامر محسن صكر، الصوم الكبير والصوم الصغير في الدين الصابئي المندائي، مجلة أفق العدد (١٥) السنة الخامسة بغداد، ٢٠٠٠ ص.
- ١٨- احمد لغتك الفياض (المندائيون) منشور في مجلة كلية اللغات ، جامعة بغداد ، المجلد ، العدد ١٨ ، ٢٠١١ ، ص ٧٠٥ .
- ١٩- غضبان رومي ،الصابئة ،مطبعة الامة ،بغداد ، ١٩٨٣ م .، ص ١٦٥.
- ٢٠-رشيد الخيون ،الاديان والمذاهب في العراق ،منشورات دار الجمل ،المانيا ٢٠٠٣ م .
- ٢١- نبيل عبد الامير تاريخ الصابئة المندائيين في العراق اصولهم ومعتقداتهم الدينية ،ابجد للترجمة والنشر، بابل ، ٢٠٢١، ص ٣.
- ٢٢-نعيم عبد مهلهل ، صابئة حران وصابئة المعدان، الحوار المتمدن العدد (٢٥٩٧) في ٢٦/٣/٢٠٠٩ على الرابط التالي: <http://www.ahewar.org/debat/nr.asp>

المصادر :

- ١-أبن منظور: لسان العرب دار لسان العرب مجلد، بيروت ١٩٨٨.
- ٢- إحسان محمد الحسن - موسوعة علم الاجتماع، ط ١، الدار العربية للمطبوعات بيروت، ١٩٩٩.

- ٣- عبد الوهاب الكيالي وآخرون، الموسوعة السياسية، ج ١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٤، ٢٠٠١.
- ٤- جون سكوت، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، ترجمة محمد عثمان، الدار العربية للأبحاث والنشر، القاهرة، ٢٠٠٦.
- ٥- دينيس كوش، ترجمة منير السعيداني، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، المنظمة العربية للترجمة، ط ١، بيروت، ٢٠٠٧.
- ٦- جواد الخوئي، لمحات تاريخية عن الأقليات الدينية في العراق على الرابط الإلكتروني التالي : <http://www.khoie.net>
- ٧- محمد نمر المدني، الصابئة المندائيون العقيدة والتاريخ، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٩.
- ٨- دينيس كوش، ترجمة منير السعيداني، مفهوم الثقافة الاجتماعية المنظمة العربية للترجمة، ط ١، بيروت، ٢٠٠٧.
- ٩- عزيز سباهي، أصول الصابئة (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية، ط ١، منشورات دار المدى، ٢٠٠٢.
- ١٠- محمد حسن غامري، مقدمة في الانثروبولوجيا العامة، الاسكندرية، المركز العربي للنشر والتوزيع، ١٩٨٥.
- ١١- أنيس زهرون - عظمة النبي يحيى بن زكريا، بغداد، ٢٠٠٢.
- ١٢- صبيح مدلول السهيري، يحيى بن زكريا نبي الصابئة، بغداد، ١٩٩٨.
- ١٣- ناجية المراني - مفاهيم صابئية مندائية، بغداد، ١٩٨١.
- ١٤- سليم برنجي الصابئة المندائيون في تاريخ ومعتقدات قوم المسنين، ترجمة جابر أحمد، بيروت، ١٩٩٧.
- ١٥- ياسين الناشئ، الميثولوجيا المندائية - ملحق جريدة الصباح العدد ٨٤٤، ٢٠٠٦.
- ١٦- أنيس زهرون - عظمة النبي مصدر سابق.
- ناجية المراني، مفاهيم صابئية مندائية (تاريخ، دين، لغة)، مطبعة التايمي، بغداد، ١٩٨١، ط ٢.
- ١٧- عامر محسن صكر، الصوم الكبير والصوم الصغير في الدين الصابئي المندائي، مجلة أفاق العدد (١٥) السنة الخامسة بغداد، ٢٠٠٠.

١٨- احمد لغتك الفياض (المندائيون) منشور في مجلة كلية اللغات ، جامعة بغداد ، المجلد ، العدد ١٨ ، ٢٠١١ .

١٩- غضبان رومي ، الصابئة ، مطبعة الامة ، بغداد ، ١٩٨٣ م .

٢٠- رشيد الخيون ، الاديان والمذاهب في العراق ، منشورات دار الجمل ، المانيا ٢٠٠٣ م .

٢١- نبيل عبد الامير تاريخ الصابئة المندائيين في العراق اصولهم ومعتقداتهم الدينية ، اجد للترجمة والنشر ، بابل ، ٢٠٢١ .

٢٢- نعيم عبد مهمل ، صابئة حران وصابئة المعدان ، الحوار المتمدن العدد (٢٥٩٧) في ٢٦/٣/٢٠٠٩ على الرابط التالي : <http://www.ahewar.org/debat/nr.asp>

